معرض

الفنان العراقي معاذ الألوسي في «إيبروف دارتيست»

يحفر تجاعيد النصوص كأسيد الوقت

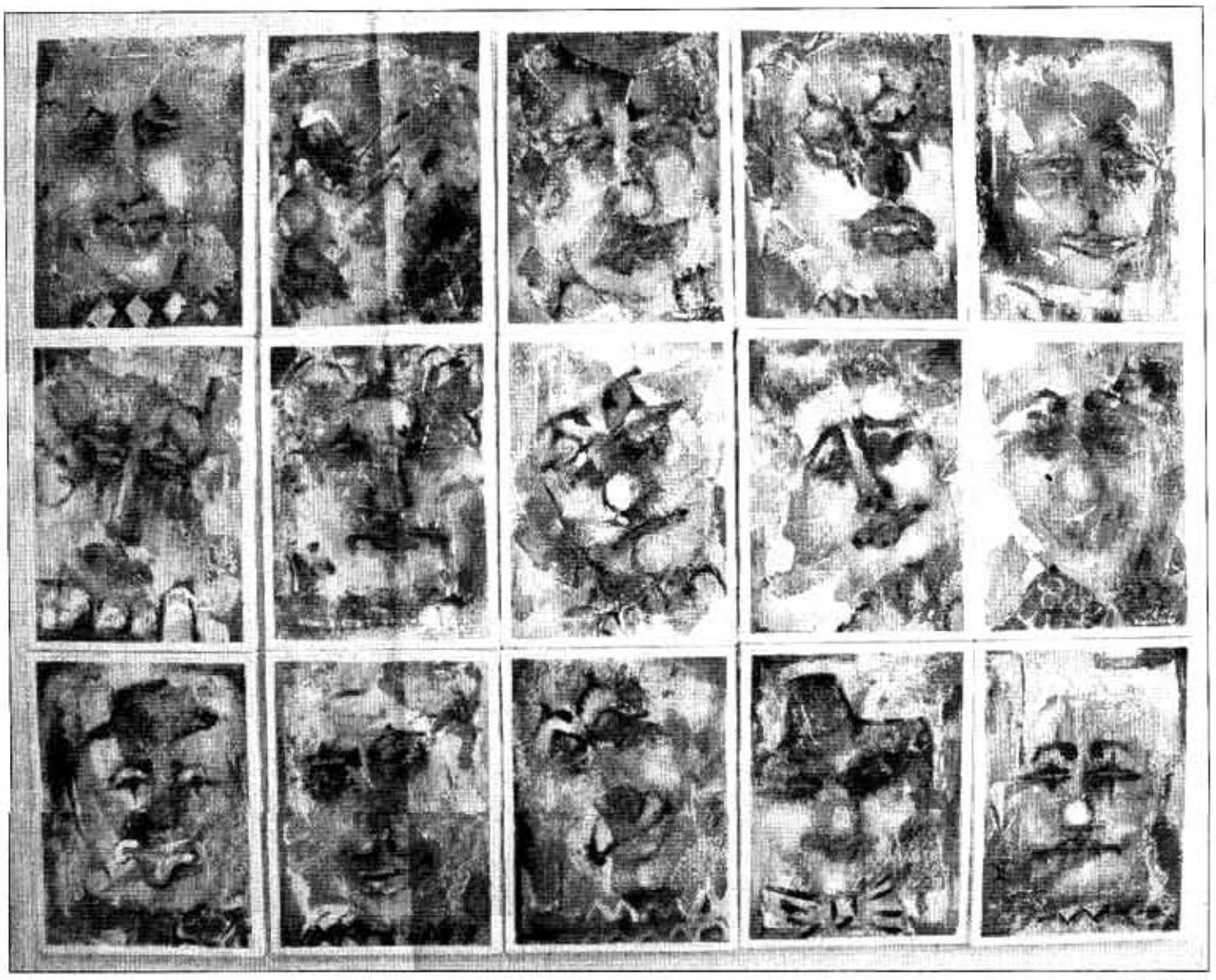

● مجموعة وجوه.

بعد اربعين عاماً على تخصصه بالهندسة المعمارية في جامعة الشرق الاوسط الفنية (انقره)، ستون عمل بالاكريليك على القماش تحت عنوان «الوطن»، المعرض الفردي الثاني تنشر للفنان العراقي معاذ الألوسي (مواليد بغداد ١٩٣٨)، في غاليري إيبروف دارتيست من ٢٤ تشرين الاول ولغاية ٤ تشرين الثاني، لا شأن له بالعمارة، انما بالعكس يصور الألوسي اللاعمارة، بابتعاده عن المكان الثابت، نحو الوجوه، الدراجات، الحقائب، وأشياء اخرى، جميعها مترابطة، الان اكثر ما يعلق في الذهن منها، صور الوجوه، من نمط تلك التي نصادفها كل يوم في الطرقات، ونقلها البوب آرت بطريقة الواقعية المفرطة كصورة للعالم الاستهلاكي الذي نعيشه، وتحديداً للفوضى البصرية الناتجة عن تكرار عمليات اللصق والقشط على المساحة الجدارية نفسها، مما يحدث تحولاً في نسيج الجدار يسري تحت الصور الجديدة ويتكشف في لحظات قشطها، كما لو في حملة تنظيف.

بعد اربعين ليلة امضاها على جبل سيناء ليتسلم من يهوه لوحين من الحجر، عاد ليجد شعبه بقيابه، يعبد عجلاً ذهبياً، تلك الحادثة يختصرها رامبرنت عام ١٦٥٩، في اللحظة الاوج عندما «موسى يحطم الوصايا»، وتكاد هذه اللوحة تكون اقل من عادية لأن حركة الجسد وملامح الوجه لا تتلاءم مع الغضب، لكن رامبرنت يلجأ الى الخلفية لتصوير سماء مكفهرة، ملبدة، عاصفة، ليعكس غضباً تحاشى تصويره على وجه بطله ربما لكي يبعد عنه شبهاً بطيش الابطال الاسطوريين سريعي الغضب، ويجعله اقرب الى تعب السماء الرثة.

الصورة والجدار

ومثل رامبرنت يلجأ الألوسي الى الخلفية، انما بطريقة معاكسة، فبقايا الصورة على الجدار تغترب عن هويتها، عن وظيفتها، طبيعتها، وحدودها الاولى، وتخوض حالة جديدة من التعليق، بعد فقدانها لجسدها الاول وقبل اكتسابها للحالة التالية من الفناء او الاتحاد، ذلك انها لم تعد الصورة وليست الجدار، الذي بدوره تحول من مجرد مسند الى ملجأ لشظايا الوجوه وقد صارت تسكنه كخدوش وفجوات. فالصورة الممزقة لا تعود شيئاً ملصقاً على الجدار بل غارقاً فيه لافتقادها اطارها الاول الذي كان يحمي حدودها، من طغيان مساحة الجدار، لأن الجزء غير المقشوط منها، يبدو بعد افتقادها لحدودها، مقشوطاً من الجدار بالذات.

اذا بدلاً من الخلفية التي تعكس حالة موسى الحقيقية، صار لدينا وجه يكسر خلفياته ليعكس حقيقة حالته. وهذا واضح تماماً في اعمال الالوسي من الالتباس بين ان يكون الوجه ملصقاً على الجدار او يطل من كسر فيه، ومن التباس مرجعية «فيه» للوجه ام الجدار؟ وبالتالي دلالتها على الاثنين معاً، لأن الجدار يتقدم نحو الوجه والوجه يتراجع اليه، لنصل الى حالة التعليق الوسطى، من اتحاد الاثنين، ولذا تتألف وجوه الالوسي من مواد كالرمل، تجعله باختصار من طينة الجدار، تمنحه الروح ويمنحها الجسد. هذا الاتحاد موجود نظرياً منذ الكهوف ومع الحضارات القديمة باعتمادها على النقش البارز او الغائر على الجدران او الالواح الطينية، وكنا تطرقنا منذ مدة الى شيء مشابه مع مسطحات الفنان فؤاد نعيم التي تتمتع بقواسم مشتركة مع مسطحات الالوسي، لكنها تفترق عنها كافتراق الكلمة عن الصورة، اذ نجد لدى الاثنين محاكاة للزمن عبر ذاكرة الطين، سواء كانت ما تزال ظاهرة في حالة عمودية كالجدران (الماضي القريب)، او استترت افقياً كطبقات اثرية في الارض (الماضي البعيد). من هنا حين يكتب نعيم، ان لوحة الألوسي «تبدو امتداداً لطبيعة تقع خارجها على حائط الغرفة او المدينة او في الوطن المعذب المشوه» يصح كلامه على اعماله ايضاً وبالدرجة نفسها. لكن الفرق كما ذكرنا، ان نعيم يعالج الامر بميل الى الحروفية والتجريد، بينما يميل الألوسي الى التعبيرية.

واذا كان الوطن لدى نعيم بقايا من زلازل وحرائق تدل على اضطرابات وحروب، كصورة رمزية عن العذاب الكلي، فالوطن لدى الألوسي، وجه من تلك البقايا التي تعرضت لديهما كألواح اوسايا للخيانة المسبقة، والتحطيم، بفارق انه غير فجائي وآني كثورة غضب موسى، بل بطيء كالسم، كأسيد الوقت الذي يحفر تجاعيد النصوص (نعيم) والوجوه (الألوسي) ويأكل الجدران كالفأر الذي يهزم جبلاً او حضارة.

من ثم، نجد لدى الاثنين حنين الى تلك الحضارة التي هزمها الوقت او الفأر، لكنه لدى نعيم اشبه بقراءة تنبش كتاب قديم، ولدى الألوسي تنبش لألبوم قديم.

الحنين

حتى استعمال الألوسي لكلمة nostos اليونانية (العودة الى الديار)، ارتداد الى جذر الكلمة الانكليزية او الفرنسية الدالة على الحنين الى حقبة ماضية. انما لا يكتفي الالوسي بالوجه ليعبر عن اغتراب الصورة فيلجأ الى الحقائب، كتعبير عصري عن اغتراب لا قدرة للفرد على صده، فيصور الحقيبة اضخم من الاشخاص، او يصور خلفها عجلات دراجة، كتعبير عن الترحال الدائم. والدراجة بنفسها صورة عصرية اخرى للترحال القديم على الدواب، ومن هنا تصويره له في مجموعة لوحات تحت عنوان «الطوطم».

بعد ذلك تعيدنا معالجته الى موضوع «سفر الخروج»، بالارتباط مع «الثور الهائج»، الى غضب موسى، لكن الثور من ناحية اخرى، رمز مستتر للمغترب، للألوسي بالذات المتعرض لسهام القشط والوطان. والعجلة التي تختزل الدراجة، تصبح مجازاً للثور، كرقعة لهدف السهام، وأيضاً لدولاب الحظ والايام. بعد اربعين عاماً من التيه في الصحراء (كعقاب لمعادلة الاربعين ليلة) تخللتها صعاب كالزلازل والطاعون، والحروب مع الفلسطينيين ... وصل اليهود بقيادة موسى الى ارض كنعان. «الارض الموعودة». والألوسي الذي يأمل مع مجموعة «المطهر» تحرر روحه وروح شعبه، والوصول الى النعيم، يدخل عامه المئني الاربعين، من دون ان تشير لوحته الى خلاص مغاير لتحلل الوجه (حقيبة الجسد)، وإن كانت المرأة مرشحة لذلك المغاير، الا انها تبقى اشارة مستترة كالحياة، التي في مكان آخر كما يقال، لأننا نعيش اصلاً في المطهر، حيث كل شيء عقاب، الى اجل غير مسمى.

علي عسيلي

● من مجموعة المطهر.